الفصل الحادى عشر

الاتجاه نحو استنباط نظرية لانتشار الأفكار المستحدثة بين الناس

« إن علماً بدون نظرية كضرير لا يبصر ، وذلك لافتقاد ذلك العنصر الذى يستطيع وحده أن ينظم الحقائق ويوجه البحوث . وحتى من الناحية العملية فان مجرد جمع الحقائق لن تكون له إلا قيمة محدودة للغاية . وهذا التجميع أيضاً لا يستطيع أن يرد على السؤال الذى هو فى الواقع أكثر الأمور أهمية بالنسبة للأهداف العملية ، تلك الأهداف التى تقرر ما الذى يجب على الإنسان أن يفعله كى يحصل على الأثر الطيب فى حالات معينة . ولكى نجيب على هذا السؤال لابد أن تكون لدينا نظرية ، نظرية مبنية على الاختبار المعملى لا التأمل العقلى . هذا معناه أن النظرية والحقائق لابد أن يرتبط بعضها ببعض بأوثق رباط » .

« كورت ليفين » عام ١٩٣٦

والبحث فى كل ما كتب عن ذيوع الأفكار المستحدثة يكشف لنا عن نقص عام فى اتفاق وجهات النظر فيما يتعلق بالمفاهيم الاجتماعية التى يتضمنها التبنى واتجاهاتها عند الفرد ، كما يكشف أيضاً عن انعدام قابلية هذه المفاهيم للاندماج فى نظرية واحدة عامة يمكن اختيارها بالطرق الاختبارية المعملية . والبحوث العديدة التى أنجزت حتى الآن تزودنا بقاعدة ممتازة تصلح لإقامة نظرية عامة لذيوع الأفكار المستحدثة بين الناس وتبنيهم لها .

وفى الظروف العادية ، يتوقع الفرد أن تظهر الاعتبارات النظرية فى الفصول الأولى من الكتاب ، إذ بذلك تستطيع هذه الاعتبارات أن تكون إطاراً للكتاب كله . ومع ذلك ، فإنه فى الظروف الراهنة ، نعتقد أن أية تعميمات نظرية لابد أن تأتى على درجة كبيرة من عدم الدقة العلمية بحيث يصبح من الضرورى العمل على وضعها فى نهاية هذا الكتاب لا فى أوله . والهدف من هذا الفصل إنما هو تقرير اتجاه محدد تسير فيه الدراسة التحليلية

تحقيقاً لنظرية عامة تخدم موضوع ذيوع الأفكار الجديدة بين الناس وتبنيهم لها .

الاتجاه النظرى :

ومن الجائز أن تكون أحد الوسائل الفعالة لتكوين فكرتنا عن ذيوع الأفكار بين الناس وتبنيهم لها والسلوك الذى يتبعونه لتحقيق ذلك النظر إلى هذا السلوك بصورته الأولية ثم العمل على بناء بعض المتغيرات المركبة ذات الصلة بهذا السلوك . وعند مستوى معين من مستويات التفكير فى هذا الأمر ، نجد أن تبنى الفرد للفكرة الجديدة ، إنما هو نوع من الحدث الذى يصدر عن هذا الفرد . ووفقاً لما ذكره « بارسونز » و « سيلز » عام ١٩٥٢ ، يحتوى هذا الحدث على عناصر ثلاثه أساسية هى :

١ ـ القائم بالحدث .

٢ ـ الوجهة التى يتجه إليها الحدث .

٣ ـ الموقف الذى يتم فيه .

وهذا الفهم للسلوك البشرى يتضمن المعلومات التالية :

١ ـ يتجه السلوك وجهة معينة أساسها تحقيق الغايات والأهداف .

٢ ـ يعمل السلوك فى مواقف .

٣ ـ تنظمه المعايير السائدة فى المجتمع .

٤ ـ يحتاج إلى طاقة خارجية يطلق عليها « الحافز » .

والهدف الأكبر أو الغاية المثلى التى يعمل الأفراد على تحقيقها هى الأمن الشخصى أو إحساس الفرد بقدرته على الحياة مع غيره فى سلام . والأمن الشخصى هو الحالة الذاتية التى يقل فيها شعور الفرد بالتوتر . وكلمة الغايات أو « الأهداف » هنا ليس معناها التجسيد اللفظى أو العقلى لكلمة السلوك . فمثلا إذا قال مزارع أنه تبنى فكرة مستحدثة معينة لأنه

أحس أنها لابد أن تساعد على تنمية دخله من الزراعة فإن كلمة « تنمية الدخل » هنا ليست غاية فى حد ذاتها بل تجسيد لفظى للغاية . وعند مستوى من التجريد العقلى الذى يتسم بعمومية أكبر من هذا ، نقول إن هدف المزارع هنا هو الشعور بالأمن .

والسلوك البشرى يحدث فى مواقف . والأفراد لا يوجدون ككتلة من الوحدات التى لا رابط بينها بل إنهم أعضاء فى تنظيم اجتماعى وهذه العضوية لها آثار هامة فى سلوكهم . والمواقف التى يحدث فيها السلوك ليس من الضرورى أن تتبع أوضاع البيئة أو تنظيماتها العامة . فمن الجائز أن يرتبط المرء من الناحية النفسية بجماعة معينة ومن ثم يتمثل أفكار الجماعة دون أن يكون من أعضائها . ومما لاشك فيه أن القرب المادى ، بالإضافة إلى المركز الاجتماعى وعوامل نفسية أخرى ، تعتبر كلها محركات تدفع مقومات التفاعل وتنميتها . والسلوك البشرى من طبيعته الخضوع للمعايير السائدة فى البيئة والتأثر بتنظيماتها . والتفاعل مع الآخرين فى موقف محدد يزود الفرد بشعور المطابقة وتقمص الذات . و « الآخرون » فى موقف معين لهم أهمية خاصة بالنسبة للفرد وهم يؤثرون فى سلوكه . هؤلاء « الآخرون المهمون » ، أو جماعات الإسناد الذين يزودون الفرد بتكتة يعتمد عليها فى تصرفاته ، من شأنهم أن يعاونوه على تنمية شعوره بالمطابقة وتقمص ذاته .

والطريقة التى يمارس بها الفرد شعوره هذا تؤثر على سلوكه ولنا مثل على ذلك فى الطبيب الذى يقول : « بصفتى طبيباً ناهضاً متمسكاً بأصول العلم ودوافع التقدم فإنى أسارع إلى تبنى الأفكار الطبية الجديدة » .

وبعض الأفراد يتطابقون مع دعاة التغيير ورجال العلم أكثر مما يفعل غيرهم . وثمة أفراد آخرون يتفاعلون مع فئة المتبنين الأوائل ويتطابقون معهم ويتقمصون نفس الروح ويصبحون فى النهاية مثلهم سواء بسواء :

والسلوك يحتاج إلى طاقة خارجية يطلق عليها الحافز . وفى حالة التبنى لابد للشخص من أن يبذل الطاقة بحثاً عن المعلومات المتعلقة بالفكرة الجديدة ، كما يبذلها فى مجال فحص تلك الفكرة وتجريبها وتبنيها . وحتى يتم التبنى ، لابد للفرد من ملاحظة أن العائدات المتوقعة من وراء تبنى الفكرة تفوق الجهود التى لابد أن تبذل فى سبيل تبنيها .

الإدراك :

والإدراك هو بعد أساسى من الأبعاد التى يتكون منها فهمنا لظاهرة انتشار الأفكار . وبالرغم من أن فكرة جديدة قد يعتبرها الخبراء فى ميدان من الميادين مفيدة ، فإن شخصاً آخر قد لاينظر إليها على أنها كذلك . والإدراك هو الطريقة التى يستجيب بها الفرد لأى إحساس أو انطباع يكتشفه فى نفسه وهو دالة لاصقة والموقف الميدانى الذى يتحرك فيه ويعمل. ومعرفتنا لهذه المواقف الميدانية ، والطريقة التى يتقمص بها الفرد ذاته ويتطابق بها مع الأشخاص بالمواقف ، وشعوره بالأمن ، وخروجه عن المعايير المقررة ، قد تعمل كلها على وضع الأسس النظرية لبعض مستلزمات السلوك الذى يتبعه الفرد عند تبنى فكرة مستحدثة .

وكما قرر « كوتيريل » عام ١٩٢٤ « مستلزمات السلوك مثل الاتجاهات والسمات الطبيعية وغيرها ، عند ما تدرس بعيداً عن السياق الوارد فى تعريف الفرد للموقف ، فإنها تعطى نتائج لامعنى لها » . لذلك ، كان من الأمور الجوهرية أن يعكس النمط الحالى للسلوك الذى يتبعه الفرد عند تبنى الأفكار المستحدثة وجهة نظره المتضمنة إدراكه للموقف .

انتشار الفكرة المستحدثة :

وانتشار الفكرة المستحدثة يتم عادة فى نطاق التنظيم الاجتماعى. والتنظيم

الاجتماعى قد يضم بين أرجائه مواقف ميدانية متعددة . أما أجزاء التنظيم الاجتماعى المستخدمة كإطارات تتم داخلها الأحداث فمن طبيعتها أن تدفع الأفراد إلى إظهار درجات متباينة من القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . والمواقف الميدانية ذاتها عند ماتستخدم كإطارات للأحداث ، تتكشف عن قدر أكبر من التجانس فى الصفات المميزة للأفراد ومدى أقل فى قابلية هؤلاء لتبنى الأفكار المستحدثة . والفئات الخمس للمتبنين للأفكار المستحدثة وهم المبتكرون ، والمتبنون الأوائل ، والغالبية المتقدمة ، والغالبية المتأخرة ، والمتلكئون من الجائز أن ننظر إلى كل فئة منها باعتبارها موقفاً ميدانياً . ومن الأمور الممكنة النظر إلى الأفراد فى فئة معينة من فئات التبنى على اعتبار أنهم يستخدمون قيماً عالية معينة تحدد الوسائل التى يلجأون إليها لانجاز الهدف الأكبر للأمن . هذه القيم العالية تبدو فى أنسب حالاتها عند ما يعتبرها الناس أنماطاً مثالية يمكن العثور عليها فى المواقف الحقيقة ولكن قد لا يمتلكها كل فرد من الأفراد الذين تتكون منهم فئة التبنى .

والقيمة الغالبة عند المبتكرين هى المغامرة . والمبتكرون يحصلون على الشعور بالأمن المستمد من علاقاتهم بغيرهم عن طريق السير قدماً فى طريق المغامرة والتفوق على غيرهم من أفراد التنظيم الاجتماعى فى هذا المجال . وعلى ذلك ، فنحن ننظر إلى المبتكرين فى العادة باعتبارهم من المنحرفين عن المعايير الاجتماعية السائدة فى التنظيم الاجتماعى . وفى الواقع ، يعمل المبتكرون فى العادة فى مواقف ميدانية خارجة عن نطاق التنظيم الاجتماعى . وفى إطار الموقف الاجتماعى الذى يعمل فيه المبتكرون ، من الجائز أنهم ينظرون إلى قراراتهم باعتبارها متسمة بروح المغامرة . والمبتكرون فى العادة يتسللون خلف دعاة التغيير ويستخدمون عدة مصادر للأفكار

الجديدة أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى . والمبتكر قد يعلم بالفكرة المستحدثة قبل داعية التغيير .

والقيمة الغالبة لدى أولئك الأفراد المنتمين لفئة المتبنين الأوائل هى الاحترام الذى يحصلون عليه من أقرانهم إذ أنهم يعتقدون بأن الاحترام من شأنه أن يزيد من شعورهم بالأمن . أما أفراد الغالبية المتقدمة فإنهم لا يتبعون فكرة جديدة إلا بعد أن يكون عدد من الأفراد المحترمين المنتمين إلى تنظيمهم الاجتماعى قد قبلوا الفكرة المستحدثة وبعد أن يكون قد ثبت نجاحها .

وإذا كان كل فرد يتقمص غيره بهذه الطريقة ويعلق إرادته وحريته فى اتخاذ القرارات فى المواقف الميدانية على غيره فإن انتشار الأفكار لن يكون عملية سريعة . وبعض الأفراد ، بالرغم من ذلك ، يتأرجحون بين موقفين ميدانيين أو أكثر وهؤلاء يضيقون الشقة بين الفئات الخمس للمتبنين .

وفئة الغالبية المتأخرة لها قيمة غالبة من الريبة وعدم الاطمئنان إلى كل جديد وأفرادها يشكون فى جدوى الأفكار المستحدثة إلى أن يقتنعوا بما يظهره أقرانهم من تحمس لهذه الأفكار . وأفراد فئة الغالبية المتأخرة يشعرون بطمأنينة عندما يتبعون التقاليد أكثر منهم عندما يقبلون الأفكار الجديدة (إلى أن تصبح هـــذه تقليدية بعض الشىء بالنسبة للتنظيم الاجتماعى) .

والقيمة الغالبة لدى فئة المتلكئين هى التقاليد . وعندما يقاس أفراد هذه الفئة بمقياس التنظيم الاجتماعى ككل فإنهم يبدون منحرفين . على أن انحرافهم هذا لا يستمد وجوده من التبنى السريع للأفكار المستحدثة بل من عدم إقبالهم على هذه الأفكار حتى عندما تصبح شائعة فى التنظيم السياسى . والمتلكئون يستمدون عناصر الأمن والطمأنينة التى يحتاجون إليها من مقاومتهم للأفكار المستحدثة .

تبنى الفكرة المستحدثة :

والنمط العام أو النموذج التوضيحى الذى يطبقه الفرد عادة (شكل ١١-١) عند تبنيه الفكرة المستحدثة يتضمن أقساماً ثلاثة رئيسية هى :

(١) المتعلقات (٢) العملية (٣) النتائج

والمتعلقات هى تلك العوامل التى توجد فى الموقف قبل ظهور الفكرة المستحدثة . والمتعلقات على نوعين رئيسيين :

(١) ذاتية الفرد وقابليته للتطابق مع الأشخاص والمواقف .

(٢) إدراكه للموقف .

وذاتية الفرد ، تلك التى تؤثر على تبنيه الأفكار المستحدثة ، يدخل فى تكوينها إحساسه بالأمن ، وقيمة الغالبة ، وقدرته العقلية ، ومهارته فى التصور والتفكير ، ومركزه الاجتماعى ، وانفتاحه على العالم الخارجى.

وإدراك الفرد للموقف يؤثر على تبنيه للفكرة المستحدثة وطريقته فى هذا التبنى ، كما أن المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى والخاصة بتبنى الأفكار المستحدثة تستخدم كحوافز للسلوك أو ضواغط تعوقه . والأفراد فى تنظيم اجتماعى تسود فيه المعايير الحديثة سوف يتصرفون بطريقة تختلف عن تلك التى يتصرفون بها عندما تكون المعايير تقليدية . والضواغط الاقتصادية والحوافز ، وكذلك الصفات المميزة للمكان الذى يتم فيه الحدث (هل المكان مزرعة أو متجراً أو مدرسة ؟) ، تؤثر هى الأخرى على التبنى .

ومصادر المعلومات مثيرات هامة للفرد فى عملية التبنى وهو يصبح على علم بالفكرة المستحدثة أساساً عن طريق المصادر غير الذاتية وذات الانفتاح على العالم الخارجى مثل وسائل الإعلام العامة . وفى مرحلة التقييم يكون الفرد فكرته عن الصفات المميزة للفكرة المستحدثة . ومع مادر

شكل (١١ ـ ١) الصيغة العامة التى يتم بمقتضاها تبنى الفرد لفكرة مستحدثة فى داخل التنظيم الإجتماعى

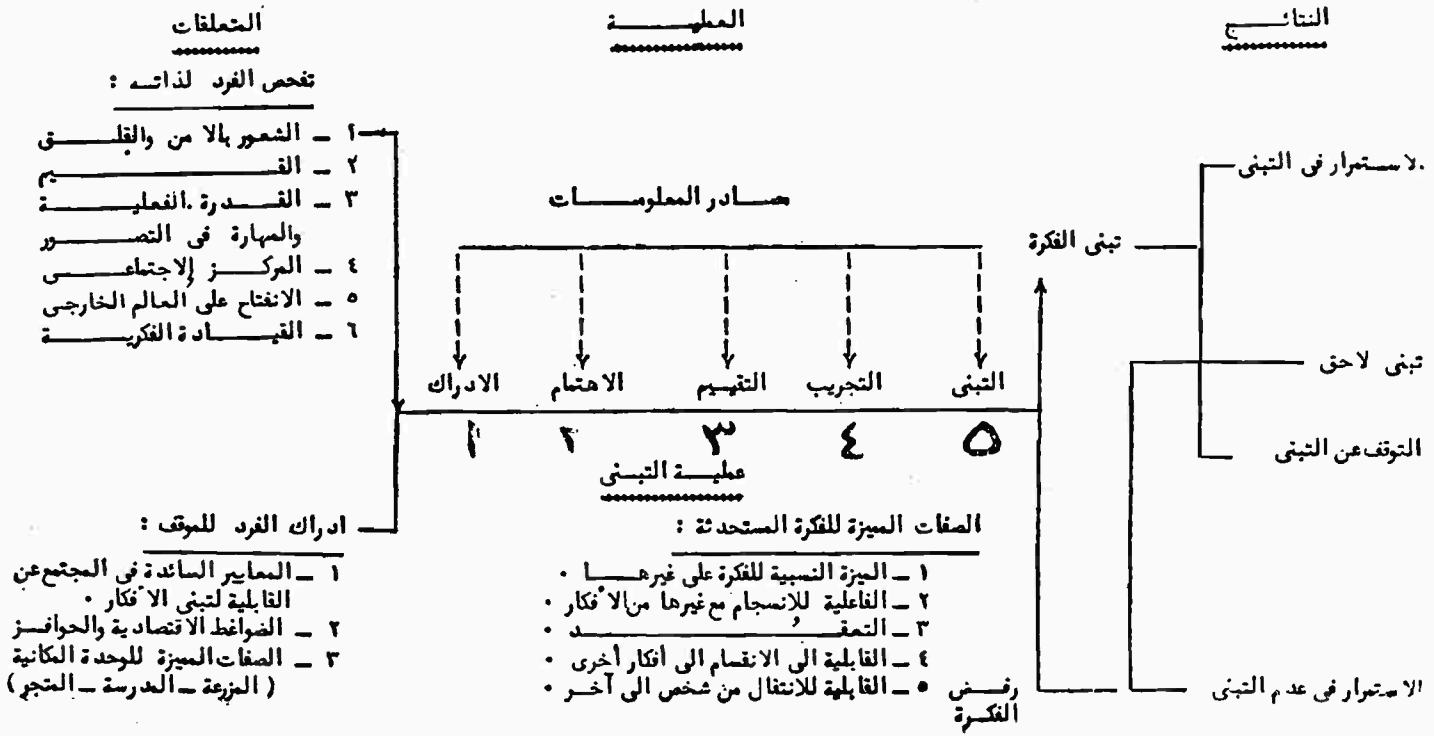

المعلومات الذاتية والضيقة المحددة بقيود المكان تعتبر أهم من غيرها فى مرحلة التقييم .

وختام عمليـة التبنى إما التبنى للفكرة وإما رفضها . والفكرة المستحدثة قد يتم تبنيها فى ختام عملية التبنى ومن الجائز أن تستخدم باستمرار ، أو ترفض بعد فترة من الوقت وهذا ما نطلق عليه كلمة التوقف. والفكرة المستحدثة قد ترفض فى نهاية عملية التبنى ولكن قد يتم تبنيها فى تاريخ لاحق . ومن الممكن أيضاً أن تظل الفكرة المستحدثة مرفوضة باستمرار .

ومن رأى المؤلف أن الموقف النظرى الذى تم توضيحه فى هذا الجزء من الكتاب قابل لمزيد من الدراسة ومن الجائز أن يلقى الضوء على قابلية الناس لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . هذا الموقف لايقصد به أن يكون هو نفسه نظرية خاصة بتبنى الأفكار المستحدثة كما لايقصد به أن يكون النظرية الوحيدة التى يمكن وضعها وتطويرها . وبدلاً من ذلك ، يمكن القول إنه ملخص للبحوث التى جرت فى هذا المجال وفى مجالات علم النفس الاجتماعى وعلم الأجناس ، وعلم الاجتماع ، والمسالك التى سارت فيها البحوث الخاصة بانتشار الأفكار . ومن المأمول أن يحفز هذا النقاش الآخرين لكى يولوا اهتماماً أكبر للأصول الأساسية التى يمكن أن تقام عليها بحوث المستقبل فى مجال ذيوع الأفكار .

نظريات عامة وفروض :

حاولنا فى هـذا الفصل التوصل إلى تقرير نظرية لذيوع الأفكار المستحدثة وتبنى الناس لها . ونظرية الفعل التى أتى بها « بارسونز » و « شيلز » زودتنا بإطار للإسناد استخدمناه فى محاولات لفهم الطريقة التى تنتشر بمقتضاها الأفكار . هذا الإطار يضم بين أضلاعه نظريات عامة

تم فحصها فى بحوث سابقة وقمنا نحن فى هذا الكتاب بتلخيصها وكذلك فروضاً قابلة للفحص بوسائل اختيارية عملية . أما النظريات العامة فلسوف نذكرها عقب مناقشة قصيرة للمتغير الإدراكى التحليلى .

المتغير الإدراكى التحليلى :

تتركب النظرية عادة ، أية نظرية ، من العلاقات العامة الموجودة بين المفاهيم . والاختبار العملى لهذه العلاقات هو الموضوع الأساسى فى البحوث التى تجرى فى مجال من المجالات . والمتغير الإدراكى التحليلى طريقة من طرق ربط النظرية بالبحث وكذلك البحث بالنظرية .

والخطوات الأساسية فى المتغيرات الإدراكية التحليلية يمكن أن نحددها فى الآتى :

١ ــ الخطوة الأولى أن نعبر عن كافة المدركات باعتبارها متغيرات . والمدرك العام ماهو إلا بعد معين تم وضعه فى صيغته الأساسية أو البدائية . والمتغير الإدراكى ، أى متغير المدرك العام ، ماهو إلا مدرك تم وضعه فى صيغة متغير . وثمة مثل على التغير الإدراكى ، أى متغير المدرك العام ، جاء ذكره على صفحات هذا الكتاب هو القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة بالصورة التى عرف بها وهى درجة مسارعة الشخص إلى تبنى الأفكار الجديدة وسبقه فى هذا المضمار لغيره من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى ينتسب إليه . والمدرك العام فى هيئته المثالية ينبغى أن يكون عاماً أو معنوياً بقدر الإمكان حتى يمكن استخدامه فى وصف السلوك والاتجاهات فى أنماط كبيرة مختلفة من أنماط التنظيمات الاجتماعية . فمثلا ، المدرك العام للقابلية لتبنى الأفكار المستحدثة سبق أن درس فى مجالات الصناعة ، والتعليم ، والفلاحة ، والقبائل البدائية .

٢ — العـــلاقة الفرضية بين متغيرين إدراكيين يطلق عليها لفظ « الفرض العام » .

ومثل الفرض العام الذى تم فحصه فى بضعة بحوث ودراسات جاء ذكرها فى الفصل السادس هو : القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة تتغير مباشرة وفقاً لدرجة الانفتاح على العالم الخارجى . فى هذا المثال ، القابلية للتبنى والانفتاح على العالم الخارجى ما هما إلا متغيران إدراكيان، والفرض العام يقرر وجود علاقة إيجابية بينهما . والتعليل القائم على أصول علم الاجتماع لهذه النقطة يقرر أن الأفراد الذين لهم صلات بالمصادر الخارجة على تنظيمهم الاجتماعى يكونون فى العادة أكثر قابلية لتبنى الأفكار المستحدثة . وإذا كان لدى الشخص جماعات إسناد خارج التنظيم الاجتماعى، فمن المحتمل حدوث انحراف فى مجال مايتوقعه ذلك التنظيم من صور السلوك الصادر عن الفرد وعلى هذا النمط يحدث تبنى الفرد للأفكار الجديدة .

٣ — يختبر الفرض العام بواسطة الفرض التجريبى (أو الفروض التجريبية) وهى التى يطلق عليها العلاقة الفرضية بين مقياسين ميدانيين للمتغيرات الإدراكية . والحدث هو المرجع الاختبارى العملى للمدرك وقد تكون له صفة القياس . والدرجة التى يكون عليها الحدث من ناحية استعداده لأن يكون مقياساً صادقاً للمدرك تسمى العلاقة المعرفية . ولسوء الحظ ، هذه الصلة بين المدرك والحدث لا يمكن اختبارها إلا بوسائل عفوية تخمينية . والمتغير الإدراكى التحليلى للعلاقة بين القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة والانفتاح على العالم الخارجى يوضحه هنا مثال مأخوذ من دراسة قام بها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ فى ولاية « أيووا » على الذرة الهجين .

٤ — الفرض الاختبارى يقبل عادة أو يرفض على أساس الاختبارات

الإحصائية الهامة ، ولكن ثمة معايير أخرى قد تستخدم . وفى الدراسة الخاصة بالذرة الهجين ، أعلن « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ وجود علاقة إيجابية هامة بين وقت التبنى للذرة الهجين وعدد الرحلات التى تمت خارج مجتمعات ولاية « أيووا » حيث محل إقامة الأشخاص موضوع الاستفتاء .

الفرض العام :

المستوى النظرى	العلاقة	القابلية لتبنى الأفكار المستحدثة المعرفية	تختلف مباشرة مع	الانفتاح على العالم الخارجى العلاقة	المعرفة
المستوى الاختبارى					

الفرض الاختبارى :

وقت التبنى لفكرة الذرة الهجين	تختلف مباشرة مع	عدد الرحلات إلى خارج مدينة « دى موين »
(حدث)		(حدث)

٥ — والفرض العام يقبل أو يرفض على أساس الاختبارات الخاصة بالفروض الاختبارية المقابلة . ودعاوى الحق قد تضاف إلى أحد الفروض العامة عن طريق النتائج المشابهة المترتبة عل التحاليل الأخرى للمتغيرين الإدراكيين فى مجموعة متنوعة من التنظيمات الاجتماعية المختلفة . وعندما يضاف تدعيم آخر إلى أحد الفروض العامة ، تزداد الثقة فى العلاقة بين المدركين، وهذه العلاقة قد تعتبر نظرية عامة، وفى نهاية الأمر قد تكون مبدأ .

٦ — والعلاقات بين كل من المدركين والمدركات الأخرى قد تحلل .

وكلما تراكمت لدينا تدريجياً نتائج من هذا النوع ، برزت مجموعة من النظريات ذات الصلة بعلم الاجتماع . بهذه الطريقة تتراكم الشواهد بطريقة متكاملة ورصينة . والهدف النهائى هو تكوين مجموعة من النظريات ذات علاقة أكبر بعلم الاجتماع ومكونة من مصفوفة ذات علاقات مركبة متبادلة بين عدد من المدركات المتشابهة .

وبعض الذين يفتقدون المتغير الإدراكى التحليلى قد يدعون أن معظم رجال العلم يستخدمون بطريقة عفوية الملامح الأساسية فى هذا المسلك المؤدى إلى التفكير النظرى بدون الخوض فى آليات تميز المدركات ، والأحداث ، والعلاقات المعرفية . هذا صحيح بلا شك ولكن فى حالة قيامنا ببحوث تستهدف فكرة الذيوع ، من الجائز أن تكون هناك حاجة أكبر لتثبيت النتائج المستقاة على أساس من المدركات العامة أكثر من تثبيتها على الأسس التى استخدمت فى معظم الدراسات السابقة . والمتغير الإدراكى التحليلى ليس فقط يزودنا بأداة نافعة تخدمنا فى البحوث القادمة عن انتشار الأفكار المستحدثة ، بل يهيء لنا كذلك طريقة محددة لبلورة نتائج البحوث السابقة .

النظريات العامة :

وبين دفتى هذا الكتاب ، جاء ذكر عدد من النظريات العامة لبلورة النتائج الرئيسية . والحصر الإجمالى لهذه النظريات العامة يزودنا بملخص مركز للنتائج النهائية لكل ماهو معروف لدينا الآن عن ذيوع الأفكار المستحدثة . وهذا الملخص هو :

١ ـ قابلية الأفراد لتبنى الأفكار المستحدثة مرتبطة بدفع حديث وليس بدفع تقليدى قديم .

٢ ـ قابلية الفرد لتبنى الأفكار المستحدثة تختلف مباشرة مع المعايير السائدة فى تنظيمه الاجتماعى بشأن هذا الموضوع .

٣ ـ المتبنون الأواخر أكثر استعداداً للتوقف فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأوائل .

٤ ـ مصادر المعلومات غير الذاتية أكثر ماتكون أهمية فى مرحلة الإدراك والمصادر الذاتية تكون كذلك فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى .

٥ ـ مصادر المعلومات المنفتحة على العالم الخارجى أكثر ما تكون أهمية فى مرحلة الإدراك ، ومصادر المعلومات المحلية تكون كذلك فى مرحلة التقييم .

٦ ـ ثمة شواهد قليلة على أن الحاجة إلى المعرفة فى مجال الأفكار المستحدثة تؤخر تبنى الناس لهذه الأفكار .

٧ ـ يحدث الإدراك بمعدل أسرع من معدل التبنى .

٨ ـ أوائل المتبنين للأفكار المستحدثة يحتاجون إلى فترة تبنى أقصر من الفترة التى يحتاجها المتأخرون عنهم .

٩ ـ الفترة التى تمر بين مرحلتى الإدراك والتجريب أطول من الفترة التى تمر بين مرحلتى التجريب والتبنى .

١٠ ـ الفترة التى تنقضى فيما بين مرحلتى الإدراك والتجريب أقصر بالنسبة للمتبنين الأوائل منها بالنسبة للمتبنين الأواخر .

١١ ـ الفترة التى تنقضى فيما بين مرحلتى التجريب والتبنى أطول بالنسبة للمتبنين الأوائل منها بالنسبة للمتبنين الأواخر .

١٢ ـ المتبنون الأوائل ـ يجربون الأفكار المستحدثة على مستوى أقل مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الذين يأتون بعدهم .

١٣ ـ الأزمات تؤكد الميزة النسبية للفكرة المستحدثة وتؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٤ ـ الميزة النسبية للفكرة الجديدة ، كما يراها أفراد التنظيم الاجتماعى، تؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٥ ـ قابلية انسجام الفكرة الجديدة مع غيرها من الأفكار الموجودة لدى الناس ، تؤثر على معدل تبنيهم لها .

١٦ ـ تعقد الفكرة المستحدثة ، وفقاً لما يراه أفراد التنظيم الاجتماعى فى هذا الشأن ، يؤثر على معدل تبنى الناس لها .

١٧ ـ قابلية الفكرة المستحدثة للانقسام تؤثر على معدل تبنى الناس لها.

١٨ ـ المتبنون الأوائل قد ينظرون إلى قابلية الفكرة المستحدثة للانقسام بأهمية تفوق تلك التى ينظر بها المتبنون الأواخر إلى نفس الموضوع .

١٩ ـ قابلية الفكرة المستحدثة للانتقال من شخص إلى آخر ، وفقاً لما يراه أفراد التنظيم الاجتماعى فى هذا الشأن ، تؤثر على معدل تبنى الناس لها .

٢٠ ـ منحنيات التوزيع الخاصة بفئات المتبنين للأفكار المستحدثة تأخذ بمرور الوقت شكل منحنى على هيئة جرس وتقترب من العادية .

٢١ ـ المتبنون الأوائل أصغر سناً من المتبنين الأواخر .

٢٢ ـ للمتبنين الأوائل من مركز اجتماعى أرفع من المتبنين الأواخر .

٢٣ ـ للمتبنين الأوائل مركز مالى أرفع من المركز المالى للمتبنين الأواخر .

٢٤ ـ للمتبنين الأوائل أعمال على درجة أكبر من التخصص وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر .

٢٥ ـ للمتبنين الأوائل قدرة عقلية تختلف عن تلك التى للمتبنين الأواخر .

٢٦ ـ مصادر المعلومات غير الذاتية أهم من المصادر الذاتية بالنسبة للمتبنين الأوائل أكثر مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر .

٢٧ ـ مصادر المعلومات المنفتحة على العالم الخارجى أهم من المصادر المحلية بالنسبة للمتبنين الأوائل أكثر مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر .

٢٨ ـ المتبنون الأوائل يستخدمون مصادر للمعلومات لها اتصال وثيق بأصل الأفكار الجديدة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر .

٢٩ ـ المتبنون الأوائل يستخدمون عدداً أكبر من مصادر المعلومات المختلفة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأواخر .

٣٠ ـ المتبنون الأوائل أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من المتبنين الأواخر .

٣١ ـ للمتبنين الأوائل قيادة فكرية تفوق مالدى المتبنين الأواخر منها .

٣٢ ـ ثمة تحول كبير للأفراد فى التنظيم الاجتماعى الواحد من فئة إلى أخرى من فئات التبنى وذلك بمرور الزمن .

٣٣ ـ المتلكئون معرضون إلى حد كبير للانسحاب خارج التنظيم الاجتماعى .

٣٤ ـ المبتكرون للأفكار المستحدثة ينظر إليهم زملاؤهم من أعضاء التنظيم الاجتماعى باعتبارهم من المنحرفين .

٣٥ ـ المبتكرون ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم من المنحرفين عن المعايير الاجتماعية الغالبة فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه .

٣٦ ـ التأثير الشخصى الصادر عن الأقران أكثر ما يكون أهمية فى مرحلة التقييم خلال عملية التبنى، وأقل ما يكون أهمية فى المراحل الأخرى .

٣٧ ـ التأثير الشخصى الصادر عن الأقران أكثر أهمية بالنسبة للمتبنين الأواخر منه بالنسبة للمتبنين الأوائل .

٣٨ ـ للتأثير الشخصى الصادر عن الأقران أكثر أهمية فى المواقف غير المؤكدة منه فى المواقف الواضحة الحدود .

٣٩ ـ قادة الفكر يلتزمون بمعايير التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه أكثر مما هو الحال بالنسبة للفرد العادى .

٤٠ ـ ثمة تداخل بسيط بين الأنماط المختلفة لقادة الفكر .

٤١ ـ قادة الفكر يستخدمون مصادر للمعلومات أكثر موضوعية ، وأكثر دقة من الناحية الفنية ، وأكثر انفتاحاً على العالم الخارجى ، مما هو الحال بالنسبه للتابعين لهم .

٤٢ ـ لقادة الفكر علاقات ومشاركات أكثر مما لتابعيهم .

٤٣ ـ لقادة الفكر مركز اجتماعى أرفع مما هو الحال بالنسبة لتابعيهم .

٤٤ ـ قادة الفكر أكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها مما هو الحال بالنسبة لتابعيهم .

٤٥ ـ كل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة تخضع أساساً لتأثير عدد من الأفراد من نفس الفئة أو من فئة أعلى فى مجال التبنى .

٤٦ ـ المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى بشأن القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها يبدو أنها تقرر ، على الأقل جزئياً ، قابلية قادة الفكر لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

٤٧ ـ الفروق فى القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها بين الأفراد هى حاجز أكثر أهمية بالنسبة لتدفق الأفكار فى التنظيم الاجتماعى الذى تسود فيه المعايير الحديثة ، وليس الحال كذلك عندما تسود المعايير التقليدية القديمة .

٤٨ ـ مدى الجهود الإنشائية التى يبذلها دعاة التغيير الاجتماعى من

خبراء وأخصائي الخدمة العامة ووكلاء الأعمال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعدل التبنى الخاص بالفكرة المستحدثة .

٤٩ ـ دعاة التغيير فى المجالات التجارية أكثر أهمية فى مرحلة التجريب مما هو الحال فى أية مرحلة أخرى من مراحل عملية التبنى .

٥٠ ـ دعاة التغيير فى المجالات التجارية أكثر أهمية بالنسبة للمتبنين الأوائل منهم بالنسبة للمتبنين الأواخر فى مرحلة التجريب .

٥١ ـ لدعاة التغيير صلات أكبر مع أصحاب المراكز الاجتماعية الرفيعة، وهذا يفوق ما لديهم من ذوى المراكز الاجتماعية المنخفضة فى التنظيم الاجتماعى الواحد .

وليس من الصعوبة بمكان أن ننقد منطوق معظم هذه النظريات العامة والتعميمات وذلك على أساس :

١ — حاجتها إلى التركيز .

٢ — حاجتها إلى الانطباق على مشكلات عامة .

وكمثل على النقد الأول ، دعنا نستعرض النظرية العامة التى تقول : « لقادة الفكر مركز اجتماعى أرفع من تابعيهم » . وإذا أردنا أن نضع هذا القول فى صيغة أكثر تركيزاً فإننا نقول : « القيادة الفكرية تختلف اختلافاً مباشراً مع المركز الاجتماعى » . وفى حالة العديد من هذه النظريات العامة ، نجد أن التركيز قد ضحى فى سبيل قدر من الوضوح الناتج عن الإطالة فى الصيغة .

ويدل خلو الكثير من هذه النظريات العامة من المفاهيم الاجتماعية العامة على أنها ، فى أحسن الحالات ، مازالت « على المدى المتوسط » وتحتاج إلى أن تقترب من مرحلة التعميم الأفضل قبل أن ننظر إليها على مستوى النظرية الاجتماعية العامة . وكمثل على ذلك ، دعنا نفكر فى النظرية التى تقول : « المتبنون الأوائل لديهم أعمال على درجة من التخصص أكثر

مما هو الحال بالنسبة للمتبنين الأواخر » . ومن الجائز أنه ، بعد أن تكون لدينا حصيلة أكبر من النتائج المستمدة من بحوث أخرى أعمق ومن نصوص أخرى أشمل وأعم ، يمكن أن نصيغ هذه النظرية صياغة أخرى أكثر شمولاً فتكون : «تختلف القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها اختلافاً مباشراً مع التخصص » .

توجيهات للمستقبل :

فى كل فصل من الفصول العشرة السابقة ذكرنا العديد من الاقتراحات التى تصلح لكى تكون توجيهات للبحوث التى سوف نجرى مستقبلاً . والآن نذكر توصية واحدة فقط ذات صلة بالأحوال العامة لإجراء البحوث وهى ضرورة العمل على إجراء «التجارب الكاشفة» أو «التجارب الميدانية الجانبية » بغرض تمحيص عدد من التعميمات الأساسية التى ذكرناها فى هذا الفصل . وثمة حدود لما يمكن أن تدلنا عليه النتائج المستقاة من النمط العادى للتحليل العاملى للمادة العلمية المستمدة من الميدان ، وهى المادة الكاشفة . فمثلاً ، يمكننا أن نحدد بصفة نهائية قدراً قليلا من العوامل المعتمدة على الأسباب والمسببات فى مجال القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها إلى أن نستطيع التوصل إلى شكل خاص من أشكال البحوث ذات الأحكام المناسبة وذات القياس الذاتى . هذا النوع من البحوث مازال قليلاً للغاية ،وهو النوع من الدراسة الذى يمكن أن يمدنا بأمل كبير فى قدرتنا مستقبلا على تمحيص النظريات العامة سابقة الذكر فى ظروف تخضع لإرادتنا بطريقة أفضل .

هذا الكتاب هو الجزء الأول فى سفر واحد كبير . أما الجزء الثانى فمن الجائز أن تتم كتابته فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً بعد أن تكون هذه التوجيهات التى ذكرناها هنا قد وضعت موضع التنفيذ ، بل وزيد عليها .